لنفسه الحق في أن يصيغ كلامه على وجه يحقّق له أهدافه الجمالية ، التي منها الغموض أحيانًا [١].

وهذا ما أكده عبد القاهر الجرجاني في قوله : « إن المعنى إذا أتاك ممثلا فهو في الأكثر يتجلى لك بعد أن يحوجك إلى طلبه بالفكرة ، وتحريك الخاطر له والهمة في طلبه . وما منه ألطف ، كان امتناعُه عليك أكثر ، وإباؤه أظهر ، واحتجابه أشد .

ومن المركوز في الطبع أن الشيء إذا نيل بعد الطَّلَب له والاشتياق إليه ، ومعاناة الحنين نحوه — كان نيلُه أحلى ، وبالميزة أولى ، فكان موقعُه من النفس أجل وألطف . » [٢]

وليس معنى هذا الوصول إلى درجة التعقيد والتعمية ، وإنما القدر الذي يحتاج إليه في نحو قول الشاعر :

فَإِنَّكَ كَاللَّيْلِ الَّذي هُوَ مُدْرِكي وَإِنْ خِلْتُ أَنَّ المنْتأى عَنْكَ واسعُ

أما ما يحتاج إلى إدراكه بالحيلة وسلوك الطرق الصعبة فهو أمر مذموم كقول الشاعر :

وكذا اسم أغطية العيون جفونها من أنها عمل السيوف عوامل

فالوصول إلى الدلالة هنا يحتاج إلى فكر زائد على المقدار الذي يجب في مثله ، يعسر معه الحصول على الدلالة ، وإذا تمَّ حصولها جاءت مشوّهة الصورة ناقصة الحسن [٣].

---

(١) ابن سنان : سر الفصاحة ، ص ٢١٨ ، ٢١٩ . (٢) الجرجاني : أسرار البلاغة ، ص ١١٨ .
(٣) المرجع السابق ، ص ١١٨ — ١٢٠ .